معالجة الدراما التليفزيونية المصرية لجرائم المرأة

"مسلسل "سجن النسا" نموذجًا"

سماح عبد الله *

تتناول الدراسة الحالية الكيفية التى عالجت بها الدراما التليفزيونية المصرية ذات الطابع الاجتماعى – ممثلة فى مسلسل سجن النسا –جرائم المرأة، وتبنت الدراسة فكرة أن الدراما التليفزيونية تطرح المشكلات والقضايا الاجتماعية وفقاً لتوجه الكاتب الإيديولوجي؛ فإما أن يكون الطرح اجتماعيًا يوضح دور الأبنية الاجتماعية فى إفراز نوع معين من الجرائم أو المشكلات؛ أو يبتعد الطرح بالمشاهد عن الواقع الاجتماعى ومسببات الجريمة المتجذرة فيه إلى اختزال مسببات الجريمة فى سمات وخصائص فردية وشخصية. أوضحت النتائج أن مسلسل سجن النسا قدم طرحًا اجتماعيًا جيدًا يرتبط بالواقع فى المجتمع المصرى فى فترة ما قبل ثورة يناير ٢٠١١، ويظهر هذا الطرح فى عرضه للأسباب المؤدية لجرائم المرأة، وفى اختلاف هذه الجرائم باختلاف السياق الاقتصادى الاجتماعى المحيط بالمرأة المرتكبة للجريمة .

مقدمة

تعد الدراما التليفزيونية واحدة من أهم الرسائل الإعلامية والأكثر تأثيرًا على جمهور المتلقين لما تتمتع به من خصائص وما تحوز عليه من قبول وعدد ساعات المشاهدة، الأمر الذى يجعلها أكثر تأثيرًا على مدى واسع يتناسب مع درجة انتشارها.

وتطرح الدراما التليفزيونية– طبقًا للتوجه الإيديولوجى للمؤلف– قضايا عدة من أهمها القضايا ذات الطبيعة الجنائية والتى تشمل الجرائم بأنواعها. والمتصفح للتراث البحثى فى "علم اجتماع الدراما" يجد فرعًا منها يتداخل مع علم الإجرام ويسمى بدراما الجريمة Crime Drama.

* مدرس علم الاجتماع، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

المجلة الاجتماعية القومية، المجلد الرابع والخمسون، العدد الثانى، مايو ٢٠١٧ .

ولقد اختلف تناول محددات الجريمة وأسبابها فى التراث النظرى والبحثى لعلم الاجتماع وعلم الإجرام باختلاف التوجهات والمدارس الفكرية لكليهما؛ فهناك من يرى أن تعريف فعل معين على أنه فعل مجَرم يختلف من مجتمع لآخر، وأن محددات الجريمة وأسبابها تختلف من مجتمع لآخر وفى المجتمع الواحد من فترة زمنية لأخرى، وينبع الاختلاف من أن لكل مجتمع تركيبته وبنيته الاقتصادية الاجتماعية التى تفرز نوعًا معينًا من الجرائم تكون أسبابه ومحدداته متجذرة فى هذه البنى.

اعتبر علماء الاجتماع الماركسيون أن الجريمة مرتبطة بالمجتمع الرأسمالى وبشكل بنيته الاقتصادية الاجتماعية، ومن وجهة نظرهم أن "النظام الرأسمالى يوِّلد الجريمة لما له من تأثير سلبى على العلاقات الاجتماعية والقيم والمعتقدات"[١]، واستفاض أصحاب هذا الاتجاه فى توضيح وجهة نظرهم فى أن تعريف الجريمة والانحراف تحدده المؤسسات الخاصة بالضبط الاجتماعى والقانون فى المجتمع الرأسمالى، وميز علماء الاجتماع الماركسيون بين نوعين من الجرائم المتعارف عليها داخل المجتمع الرأسمالى؛ جرائم الصفوة وهى التى يتم عادة تجاهلها ولا يطبق فيها القانون، وجرائم العامة وهى التى تؤخذ على محمل الجد ويعاقب عليها القانون ومؤسسات الضبط الاجتماعى.[٢]

فى المقابل؛ يرى علماء الاجتماع الوظيفيون أن أسباب الجريمة ومحدداتها بعيدة عن المجتمع؛ حيث إن منشأها ومنبعها هو الشخص، "فمحددات وأسباب الجريمة متأصلة فى التكوين البيولوجى للشخص ودليل على سماته الشخصية، وعوامل تنشئته الاجتماعية، وظروف الوسط الاجتماعى المباشر".[٣]

ونجد أن المجتمع الرأسمالى الذى تدينه الماركسية هو نفسه الذى تثنى عليه الوظيفية وتعتبره مرحلة راقية فى تاريخ تحول المجتمعات للأفضل. "يرى

دوركايم أن نسبة الجريمة تتجه نحو النقصان كلما تحول المجتمع لمرحلة أرقى عن ذى قبل" [٤]، وفى تفسيره لحدوث الجريمة يلقى المسئولية على عاتق الأفراد حيث يرى أن "التنظيم الاجتماعى يشكل جهازًا ضابطًا لسلوك الأفراد فى المجتمع، وحين يختل هذا التنظيم يختل أداؤه الوظيفى؛ فينطلق الأفراد فى تحقيق أهدافهم متجاوزين الأهداف والوسائل التى أقرها المجتمع فيحل الانحراف محل السواء الاجتماعى" [٥].

وفى خضم هذا الجدل الفكرى بين المدرستين ظهرت أصوات تعترض على تناول الجريمة كقضية عامة، حيث إن هناك جرائم خاصة بالرجال وأخرى خاصة بالنساء، لافتين النظر إلى ضرورة تناول محددات وأسباب وأنواع جرائم المرأة منفردة، حيث إن النوع عنصر مهم فى التوجه نحو نوعية معينة من الجرائم؛ ولرأب هذا الصدع ظهرت الاتجاهات النسوية فى علم الاجتماع وعلم الإجرام؛ تلك الاتجاهات التى كانت ذات طبيعة راديكالية فى معظم الأحوال.

اعترضت النسوية بصفة عامة على توصيف الجريمة دون الرجوع إلى عنصر النوع؛ وعلى اعتبار أن جرائم الرجل والمرأة نوع واحد من الجرائم ليس بينه اختلاف[٦]، تمت المناداة بعلم الإجرام النسوى سنة ١٩٦٨ بسبب الافتقار إلى معلومات تخص انحراف النساء فى الدراسات المعنية مقارنةً بالرجال، وفى عام ١٩٧٣ لاحظت "كلاين" غياب التفسيرات الاجتماعية والاقتصادية لجرائم المرأة لافتة الانتباه إلى أهمية هذه القضية فى التحليل والتفسير، بعدها اعترضت "كالت" على تنميط الافتراضات الخاصة بجرائم وقضايا النساء المذنبات وتنميط التحكم فيها والتعامل معها[٧]. أما بصفة أكثر خصوصية فقد كانت الاتجاهات النسوية الراديكالية (الاتجاه النسوى الاشتراكى والماركسى) تنظر للمرأة مرتكبة الجريمة على أنها مجنى عليها؛ رغم كونها جانية فى نظر المجتمع والقانون، والجريمة طبقا لآراء هذه الاتجاهات نتاج طبيعى لآليات

الوضع الطبقى المتدنى لبعض فئات المجتمع الرأسمالى ومنها المرأة، لذلك عادة ما تكون جرائم النساء ذات طبيعة اقتصادية كالسرقة مثلاً[٨].

وفى أواخر الثمانينيات من العام الماضى اكتشفت النسوية فى علم الاجتماع أنه لا توجد بيانات كافية عن مدى تمثيل النساء فى الإحصاءات الخاصة بجرائم الطبقة الراقية[٩]، وظلت النسوية بجميع تياراتها- بدءًا من الليبرالية حتى الراديكالية - تتناول أوجه القصور فى الدراسات التى تتناول الجرائم بعيدًا عن عنصر النوع منذ أواخر الثمانينيات وحتى الآن، وتهتم بكيفية جرائم المرأة عوضًا عن إهمالها لفترة طويلة .

ولأن الدراما التليفزيونية تختلف من مجتمع لآخر؛ فإن القضايا والظواهر والمشكلات التى تطرحها تكون لصيقة بخصوصية المجتمع التى يتم إنتاجها فيه؛ الخصوصية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التى لا يتشابه فيها مجتمع مع آخر، وأنه عندما تعكس الدراما التليفزيونية الواقع الاجتماعى كما هو وبكل ما فيه من قضايا ومشكلات اجتماعية تسهم فى إنضاج وعى المشاهد وتشكل لديه رؤية صحيحة عما يحيط به؛ بينما عندما تبتعد عن تصوير الواقع الاجتماعى كما هو وبكل ما فيه من قضايا ومشكلات اجتماعية تزيف وعى المشاهد وتغيبه، ولا تسهم فى تكوين رؤية صحيحة عن كل ما يحيط به، ومما لا شك فيه أنه لا يوجد مجتمع يخلو من جرائم المرأة، لكن تختلف هذه الجرائم فى الكم والكيف وفى الأسباب الرئيسة الدافعة إليها من مجتمع لآخر طبقاً لخصوصية المجتمع ؛ فعلى سبيل المثال؛ يبلغ إجمالى عدد جرائم العنف التى ارتكبتها المرأة فى المجتمع المصرى طبقاً لإحصاءات الأمن العام؛ (٢٩٣) حادثًا عام ٢٠١٢ مقابل (٢٢٣) عام ٢٠١١، بزيادة قدرها (٧٠) حادثًا بنسبة (٣١٪)، وبلغ عدد المتهمات فى جرائم العنف النسائى (٢٤٣) متهمة [١٠]، وبالنظر إلى ما سبق ذكره وإلى الإحصاءات من واقع

المجتمع المصرى عن الجريمة؛ يبقى لنا أن نتساءل كيف تقدم الدراما التليفزيونية المصرية هذا الطرح؟ أى كيف تطرح جرائم المرأة المصرية بكل خصوصيتها؟

يشير التراث البحثى إلى أن غالبية الدراسات فى المجتمع المصرى ركزت على صورة المرأة بصفة عامة فى الدراما التليفزيونية[١١]، وأن هناك قلة فى الدراسات التى تتناول كيفية معالجة الدراما التليفزيونية فى مصر لجرائم المرأة؛ فى حين أن هناك دراسات محدودة فى التراث البحثى الغربى درست ما يسمى بدراما الجريمة (crime drama) وصورة المرأة فيها– تلك المرأة المرتكبة للجريمة أو المرأة العنيفة[١٢] .

وعليه تأتى أهمية الدراسة فى كونها تحاول التعرف على الأسباب والدوافع التى تطرحها الدراما التليفزيونية المصرية ممثلة فى مسلسل سجن النسا – التى تدفع المرأة فى المجتمع المصرى للجريمة، وهل الأسباب المطروحة داخل السياق الدرامى تبعد عن الواقع الاجتماعى فى الطرح والتفسير وترجع أسباب جرائم النساء إلى السمات الفردية والشخصية للمرأة فى السياق الدرامى أم تقترب من الواقع الاجتماعى فى الطرح والتفسير وترجع أسباب جرائم المرأة إلى الظروف المجتمعية ؛ بما فيها شكل المجتمع وبناه التى تفرز جرائم بعينها؟

واتساقا مع هدف الدراسة، كان التساؤل الرئيسى مؤداه: ما الأسباب المؤدية لجرائم المرأة كما عبرت عنها الدراما التليفزيونية المسلسلة عينة الدراسة والممثلة فى مسلسل سجن النسا؟ وهل هذه الأسباب اجتماعية لصيقة بخصوصية المجتمع وتعكس الواقع الاجتماعى المصرى أم شخصية وفردية تعكس سمات شخوص العمل الدرامى من النساء مرتكبى الجريمة؟ وانبثقت عدة تساؤلات فرعية عن التساؤل الرئيسى وهى:

١- ما الأسباب والدوافع التى تؤدى لجرائم المرأة كما طرحها مسلسل سجن النسا؟

٢- هل يرتبط السياق الاقتصادى الاجتماعى للمرأة مرتكبة الجريمة بنوعية جرائم معينة حسب ما ظهر من السياق الدرامى للمسلسل التليفزيونى عينة الدراسة؟

٣- هل يرتبط الإطار المكانى للمرأة مرتكبة الجريمة بنوعية جرائم معينة حسب ما ظهر من السياق الدرامى للمسلسل التليفزيونى عينة الدراسة؟

٤- ما الطرح الذى قدمه مسلسل سجن النسا للواقع الاجتماعى المصرى؟

مفاهيم الدراسة

١- الدراما التليفزيونية (إجرائيًا): نقصد بها- فى هذه الدراسة- المسلسل التليفزيونى ذا الطابع الاجتماعى والذى يتناول داخله -كقضية محورية - نوعًا أو أكثر من الجرائم التى ترتكبها المرأة، كما يمثلها فى هذه الدراسة مسلسل سجن النسا.

٢- جرائم المرأة (إجرائيا): كل فعل يجرمه القانون المصرى وتقوم به المرأة .

عينة الدراسة

تم اختيار مسلسل سجن النسا بطريقة عمدية؛ وقد تم عرضه عرضًا أول على شاشة التليفزيون المصرى، القنوات الأرضية عام ٢٠١٤ وقد تمت مشاهدة العمل كاملاً مرة للإلمام بالأحداث والسياق الدرامى، ومرة أخرى لتحليل الأحداث الدرامية، ثم أختيرت عينة عمدية من النساء شخوص العمل الدرامى المرتكبات للجرائم داخل السياق الدرامى، وتحددت مبررات اختيار المسلسل؛ فى أن القضية المحورية فى الأحداث هى الجرائم التى ترتكبها المرأة، وأنه يعرض لنماذج من النساء مرتكبات الفعل الإجرامى فى إطار عرضه للأسباب المؤدية

لاتجاههن للإجرام، كما يوضح أثر السياق الاجتماعى بكل ما فيه على هؤلاء النساء عينة الدراسة من شخوص العمل الدرامى.

أسلوب الدراسة

اعتمدت الدراسة على أسلوب تحليل المضمون الكيفى للحلقات المختارة ؛ حيث تضمنت استمارة التحليل عددًا من المحاور الرئيسة التى تجيب فى مجملها على تساؤلات الدراسة.

أحداث مسلسل سجن النسا

تدور أحداث مسلسل سجن النسا حول شخصية محورية هى؛ "غالية السَّجانة" فى سجن القناطر للنساء والتى تزوجت من صابر سائق الميكروباص والذى كان سببًا رئيسًا هو وصديقتها العزيزة فى دخولها السجن بجريمة قتل خطأ لمدة سبع سنوات وهى لم ترتكبها.

وظهرت خلف الشخصية المحورية داخل سجن القناطر العديد من الشخصيات منهن؛ زينات (أو شفيقة)، "ودلال" المتهمات فى جرائم بغاء، الأولى كانت تعمل خادمة وتعرضت لاتهامات بالسرقة فعملت بالبغاء لتسديد مبالغ هى لم تأخذها بالأصل، واستمرت كى تستطيع الإنفاق على مرضها حيث أصيبت بفشل كلوى بعد سرقة كليتها السليمة فى عملية نصب من طبيبة مشهورة.

أما "دلال" فكانت تعمل فى محل لبيع الخمور وتضحك مع المرتادين عليه وتشرب معهم، لكنها تم القبض عليها فى بيت خالتها التى تعمل قوادة هى وزوجها، ولها اثنتان من الفتيات باغيات، وتتبرأ من دلال أمها وخطيبها والجميع فتخرج من السجن لتعمل فى البغاء وتكون منه ثروة.

أما "رضا" فهى فى السياق الدرامى الفتاة الريفية التى جاءت للقاهرة لتعمل خادمة لتعول أسرتها وليكمل أخواتها الذكور دراستهم وتتعرض للقهر الشديد الذى يدفعها لأشعال الحريق فى ابنة مخدومتها.

وأم "سعيدة" التى قتلت زوجها بعد محاولته اغتصاب ابنتها من زواج سابق، "وعزيزة" تاجرة المخدرات التى طالما نسبت لنفسها جرائم زوجها كى لا يدخل السجن، وعلى هامش الأحداث العديد من الشخصيات الفرعية مثل "درية وبكيزة" مسجونتا جرائم المال العام وغيرهن.

ومن الجدير بالذكر أن المسلسل مأخوذ عن عمل مسرحى لكن بتصرف؛ لقد كتبت الكاتبة فتحية العسال مسرحية سجن النسا فى الثمانينيات من القرن الماضى، عن كاتبة صحفية ثورية تدخل إلى سجن القناطر للسيدات، وتعرض نماذج للسجينات الموجودات فى هذا السجن والمتهمات فى جرائم مختلفة مع عرض خلفيات للعمل فى إطار الظرف الاجتماعى الاقتصادى السياسى وقتها، وكانت المسرحية كلها تدور داخل السجن، لكن فى العمل الدرامى الذى تم عرضه عرضًا أول فى ٢٠١٤، "أضافت فيه السيناريست مريم نعوم شخصيات وأحداث على النص الأصلى وحذفت شخصية الصحفية ودورها ووضعت شخصية واحدة محورية، وخلفيات مختلفة من شخصيات متعددة خلف الشخصية المحورية؛ بقصد تقديم نماذج مختلفة للمرأة مرتكبة الجريمة لتقديم ثراء للأحداث وللطرح الدرامى، والسيناريست مريم نعوم لم تبتعد عن البيئة الرئيسية لمسرحية فتحية العسال فحسب، بل أضافت الواقع المجتمعى الراهن، كما أنها ترددت بالزيارة هى والمخرجة على سجن القناطر لتقديم نماذج قريبة من السجينات هناك وهو ما أدى إلى تغير كلى فى بناء الشخصيات الدرامية " [١٣].

لقد كانت من عوامل الجذب لمنتج العمل أن عالم السجينات لم يتم التطرق له من قبل فى الدراما التليفزيونية [١٤].

يبقى أن نذكر عددًا من العناصر الخاصة بالشكل فى المسلسل قبل الإجابة عن تساؤلات الدراسة الرئيسة:

- الزمان: تدور أحداث المسلسل فى مرحلة ما قبل ثورة يناير ٢٠١١.
- المكان: وقعت الأحداث ما بين سجن القناطر ومنطقة القناطر الخيرية السكنية والقاهرة وريف غير معلوم الهوية.
- مدة عرض الحلقة الواحدة: ٤٥ دقيقة.
- توقيت العرض: مرتين يومياً الساعة الخامسة والعاشرة مساء .
- عدد الشخصيات النسائية الفاعلة فى الأحداث : ٨ شخصيات .

نتائج الدراسة

فى ضوء أهداف الدراسة وتساؤلها الرئيس وتساؤلاتها الفرعية، وفى ضوء ما انتهت إليه الدراسة من تحليل مضمون الحلقات المختارة ؛ كشفت الدراسة عن أن هناك العديد من الأسباب التى عبرت عنها الدراما التليفزيونية، عينة الدراسة، بوصفها مسببًا رئيسًا فى الجرائم التى ترتكبها المرأة، وهى كما يلى:

أولا: أسباب جرائم المرأة كما عبرت عنها الدراما التليفزيونية عينة الدراسة

١- الفقر بوصفه دافعاً ومسبباً للجريمة

فى هذا الإطار يشير تراث علم الاجتماع إلى أن الفقر مفصل أساسى ومحورى فى ظهور العديد من المشكلات والجرائم، ويرتبط الفقر بالبنية الاجتماعية للمجتمع– تلك البنية التى تحمل فى طياتها عوامل تكريس الفقر وآليات إعادة إنتاجه.

فمع الزيادات السكانية الكبيرة وقلة فرص العمل، وعدم مواكبة معدلات التنمية لمعدلات الزيادة السكانية؛ يكون المنتج الطبيعى والنهائى هو ازدياد معدلات الفقر؛ حيث هناك ارتفاع مستمر لنسبة الفقراء من (٢٤,٣٪) عام ٩١/٩٠ إلى (٢٦,٣٪) عام ٢٠١٣/٢٠١٢، وهو ما يعنى أن هناك استمرارًا لمعدلات الفقر بين السكان فى الارتفاع على مدار السنوات ٢٠١٣/١٩٩١.[١٥]

كما تشير الدراسات المعنية إلى أن الفقر بصفة عامة أكثر وطأة على المرأة منه على الرجل وذلك لأسباب عديدة تتمثل فى سلسلة التراكمات التاريخية (اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية) التى تجعل البدائل المتاحة لتكيف الرجل مع الفقر أكثر اتساعًا من المرأة المكبلة بكثير من المحرمات والممنوعات خاصة فى المجتمعات العربية بما فيها مصر، هذا بجانب تقسيم العمل على أساس النوع الذى يعتبر من أهم العوامل التاريخية التى تجعل المرأة غير مساوية للرجل فى شروط العمل وعوائده[١٦].

تشير نتائج تحليل المضمون إلى تعبير الحوار الدرامى ومواقع التصوير فى مسلسل سجن النسا فى أكثر من موضع عن أن الفقر سبب مباشر للعديد من الجرائم التى تقوم بها المرأة، وأنه سبب غير مباشر لجرائم أخرى؛ فالفقر يدفع إلى جريمة البغاء وسببًا للقهر الذى تتعرض له المرأة والذى دفعها فى أحداث المسلسل لارتكاب جريمة القتل.

ففى الأحداث الدرامية لسجن النسا يدفع الفقر المدقع زينات إلى جريمة البغاء والمرض يدفعها للاستمرار فيها رغم سجنها مرات عديدة، تقول زينات لرضا فى الحوار الدرامى:

- "خدمة البيوت ياما خدت من جتتى رقات لحد ما لقيت روحى بتسرق من الجماعة بتوع البيوت ويا الدفع يا الحبس وأنا حيلتى ايه أدفعه ماحلتيش غير جتتى". فترد رضا

- "يعنى أيه؟" وتستكمل زينات
- "ايه يا رضا ! يعنى ماحلتيش غير جتتى مع اللى يسوى واللى مايسواش عشان أسَّد الدين"

وفى موضع آخر من السياق الدرامى:

- "الظاهر التوبة مش من حقنا يا رضا، أنا عشان أبطل لازم أتوب، ولو بطلت أموت"؛ فى إشارة إلى أن الفقر يدفعها لبيع الجسد لتسد تكاليف الطعام والعلاج الذى هو فى أضيق الحدود.

وتنتقل الأحداث إلى حالة مرض زينات الشديد بحصوات الكلى وعدم مقدرتها على مصروفات العملية الجراحية حتى بعد تهديد الطبيب لها أنها من الممكن أن تصل للفشل الكلوى. تقول زينات فى الحوار الدرامى محدثة نفسها بعد مقابلة الطبيب فى المستشفى الحكومى،

- "عملية إيه جتك نيلة هو أنا لاقية آكل".

وتصل الأحداث بالمشاهد إلى رؤيته لهذه الفتاة بعين الرحمة بعد سرقة كليتها السليمة واضطرارها للغسيل المستمر، وعدم تحملها تكاليفه له حتى تتدهور صحتها فتلجأ إلى تبليغ الشرطة عن نفسها ليتم حبسها وتضمن العلاج بالمجان داخل السجن.

إن المرأة الأمية الفقيرة تعمل فى مهن متدنية تزيد من حدة الفقر، ولا تضمن لها قوت يومها ومنها الخدمة فى المنازل.

وفى السياق الدرامى لمسلسل سجن النسا أيضًا يدفع الفقر دلال إلى جريمة البغاء؛ وهى تلك الفتاة التى تعول أسرة مكونة من والدتها وشقيقتين فى مراحل التعليم.

تخاطب دلال أمها فى السياق الدرامى فتقول.

– "أنا عملت كل ده ليه ما هو عشانكم، عشان الأرف ده، عشان أخرجكم منه، من الأرف اللى إحنا عايشين فيه".

وذلك فى إشارة منها للغرفة التى يعيشون فيها فوق سطح أحد البيوت القديمة.

أشارت الأدبيات فى تصنيف المرأة الفقيرة إلى أن المرأة الفقيرة المعيلة فى أسفل سلم الفقر(١٧).

أشارت السيناريست مريم ناعوم بوضوح فى أحداث سجن النسا إلى أن الفقر متجذر فى البنية الاجتماعية، وأنه سبب رئيسى فى وجود جريمة البغاء ووضعتها كمثال لجرائم أخرى يكون الفقر سببًا غير مباشر فيها كما سبق وذكرنا، مما يعنى أن جرائم المرأة – ومنها البغاء– نتاج لظروف اجتماعية اقتصادية وليست لسمات شخصية.

٢- الظلم الذى تتعرض له المرأة بوصفه دافعاً ومسبباً للجريمة

كشف تحليل المضمون عن أن الظلم الاجتماعى كان مسببًا رئيسًا ودافعًا للشخصية المحورية فى مسلسل سجن النسا للقيام بجريمتى قتل، والظلم هنا وكما عبرت عنه الأحداث عكس العدل ومرادف لانعدام الإرادة، والمحاسبة على جريمة لم تقترفها المرأة فى الأحداث الدرامية إنما تم تلفيقها لها؛ حيث تم اتهام غالية – شخصية سجن النساء المحورية – بتهمة قتل خطأ ارتكبها فى الأصل زوجها صابر، وشهدت عليها زورًا صديقتها المقربة وزوجة صابر الثانية فى السر؛ فتم الحكم عليها بالسجن سبع سنوات مات خلالها ابنها، وتدور الأحداث لنلاحظ تحول غالية من شخصية هادئة مسالمة إلى شخصية عنيفة تفكر فى الانتقام وتنفذه لأنها أحست أن زوجها وصديقتها التى تزوجها سرًا سببًا فى وفاة ابنها الذى توفى وهى فى السجن.

وفى السياق الدرامى وأثناء الإفراج عن غالية من سرايا النيابة يقول ضابط البوليس:

– "مش عايزين نشوفك تانى هنا ياغالية".

ترد غاليه "بس خليك فاكر يا باشا إن النوبة اللى فاتت كنت جاية مظلومة". وكانت تقصد بذلك أنها سوف تعود مرة أخرى بعد الانتقام من زوجها وصديقتها.

تصور الأحداث الدرامية غالية بعد قتلها لزوجها وصديقتها التى تزوجها سراً سعيدة وغير مبالية بالعقاب الذى ينتظرها فى إشارة منها لاستهانتها بالقانون الذى لم ينصفها من وجهة نظرها عند اتهامها زورًا، وهو السبب الذى قررت معه عدم لجوئها للقانون لأخذ حقها،مما يمكن القول فى ضوئه إن عنف المرأة فى الفعل والسلوك وارتكابها للجرائم يكون بسبب الظلم الاجتماعى الواقع عليها، وعدم إيمانها بالطرق المشروعة فى استرداد الحقوق أو عدم جدواها؛ ومنها القانون مما يزيد من إحساسها بالظلم والقهر ويدفعها لانتزاع حقها أو الانتقام بعيدًا عن الطرق والقنوات الرسمية.

يدعم السياق الدرامى لمسلسل سجن النسا الظلم الاجتماعى بوصفه دافعًا وسببًا فى ارتكاب المرأة للجريمة لكن فى إطار مختلف من خلال شخصية (أم سعيدة) التى قتلت زوجها الذى حاول اغتصاب ابنتها من زوجها الأول المتوفى، ويعكس السياق الدرامى نظرة المجتمع لها بوصفها قاتلة وليست مدافعة عن ابنتها، تقول أم سعيدة لابنتها فى الأحداث الدرامية:

– "لوحد قال لك أمك قتلت قولى لهم كانت بتدافع عن عرضى، عشان تمشى طول عمرك رأسك مرفوعة".

يصور السياق الدرامى الظلم الاجتماعى فى الإشارة الضمنية لكونها لا تستحق حكم الإعدام لأن ما فعلته كان يماثل الدفاع عن النفس وهنا يوجه

المسلسل المشرع المصرى للنظر بعين الاعتبار إلى مثل هذه الحالات، والدعوة أيضًا إلى تغيير تشريعى يتناسب معها.

٣- القهر والإذلال الذى تتعرض له المرأة بوصفه مسبباً للجريمة

صوَّر السياق الدرامى لمسلسل سجن النساء المرأة الفقيرة المقهورة على أنها لا تمتلك حق الاختيار، مغلوبة على أمرها وليس لديها إرادة حرة؛ حيث إن تلك الإرادة مكبلة بظروف اجتماعية عديدة أهمها الفقر ؛ليظهر بوصفه سبباً لقهر المرأة الفقيرة وسلب إرادتها وإذلالها ثم لارتكابها جريمة قتل.

كما صوَّر السياق الدرامى للمسلسل سابق الذكر؛ شخصية رضا بكل ما يحيط بها من أحوال معيشية متدهورة ثم الزج بها للعمل فى خدمة المنازل، ومعاملة المخدومين السيئة لها، كما وضح الحوار الدرامى كيف أن المرأة الفقيرة تعد وحدة اقتصادية للأسرة، تقول رضا لمخدومتها فى السياق الدرامى للأحداث:

- "العلام عندنا للجدعان بس، البنت ليها بيت جوزها". فترد مخدومتها "يعنى إنتى أخواتك متعلمين". فترد رضا

"أو مال أنا بعمل أيه فى مصر، أنا بشيع حق علامهم لأبويا كل شهر".

إن ما سبق يعنى وجود مؤشرات للمرأة المقهورة ظهرت من خلال الأحداث ومن الحوار الدرامى لمسلسل سجن النسا على لسان شخصية رضا؛ ومن هذه المؤشرات أن المرأة المقهورة فقيرة فقرًا مدقعًا، من أصول ريفية ومن قرى تعيش تحت خط الفقر وأمية وهو ما يحد من فرصها فى الحصول على عمل ملائم فتقبل بالمهن المتدنية، لا تملك حقها فى الزواج وهو ما وضحه السياق فى رفض أبو رضا لمن تقدم لها حتى تعمل وتعول أخوتها الأولاد حتى انتهاء تعليمهم.

– فى هذا السياق يقول أبو رضا للشاب الذى يطلب ابنته للزواج:
"معلش يا بنى رضا متقدرش تتجوز إلا لما أخواتها يخلصوا، دى دراعى اليمين وعكازى لغاية ما أخوها يكبر ويشيل عنها، ولغاية كده البنت مالهاش جواز".

هذا بالإضافة للقهر والمعاملة السيئة التى كانت تتعرض لها من مخدومتها الشابة؛ كذلك ما تتعرض له من سخرية أصدقاء مخدومتها منها.

ويشير التراث البحثى إلى أن المرأة الفقيرة العاملة فى الخدمات الشخصية (خدم المنازل) حتى إذا كان بعض المخدومين يحسن معاملتها فإنها غالباً ما تواجه بتصرفات أبنائهم، وهى فى أى وقت معرضة للطرد من العمل بدون أدنى ضمان مادى أو حتى أدبى، وإما تفكر فى أسرة أخرى تعمل لديها أو تخضع لابتزاز سماسرة خدم المنازل[١٨]. كل هذه العوامل التى أدت إلى قهر وإذلال الشخصية الدرامية جعلها ترتكب جريمة قتل مخدومتها الشابة حرقاً.

وفى هذا السياق تحكى رضا لزينات(شفيقة) – صديقة طفولتها– بعد أن تقابلها فى السجن:

– "كانت بتذلنى أوى يا شفيقة والنبى كانت بتذلنى وكسرت نفسى". وترد زينات، "ياختى كنت أمشى" فستكمل رضا، "كنت ناوية أمشى لكن لولا أبويا منه لله ربنا ينتقم منه يارب قال لى لأ عشان الفلوس، عشان الشهرية يعنى" وفى السياق ذاته وبعد الحكم على رضا بالإعدام فى الجريمة التى اقترفتها نجدها ترى شبح مخدومتها فى عربة السجن التى تحملها لمكان تنفيذ الحكم وهى حزينة على وفاة صديقتها زينات صديقة الطفولة، ويدور حوار بينها وبين شبح مخدومتها يوضح أن المرأة المقهورة الفقيرة لا تعرف إلا المستوى الاجتماعى الاقتصادى التى نشأت وتربت فيه وليس لديها أمل فى غيره، حتى اعتقادها أنها بعد الموت سوف تكون فى المكانة نفسها التى كانت تحتلها فى حياتها.

وتخاطب رضا شبح مخدومتها بقولها:

- "أسألى على البت شفيقة، معلش دى مش قد المقام بس بت غلبانة تتحط على الجرح يطيب،هتأخد بالها منيكى على ما أجيلك، ولا برضك يا دليلة مش هينفع نجيلك، آه إحنا مؤكد رايحين الناحية التانية".

وكأنها تعتقد أن هناك مكانًا فى الجنة للأغنياء وآخر للفقراء؛ فهى لن تجتمع هى وصديقتها مع مخدومتها أبدًا حتى بعد الموت، وتجدر الإشارة إلى أن السيناريو حاول أن يبث رسالة للمشاهد مؤداها أن الوضع الاجتماعى لا يورث فقط، ولكنه كذلك يلازم الإنسان حتى مماته أو بعده عن لسان شخصية العمل الدرامى .

٤- الفساد بوصفه دافعاً ومسبباً للجريمة

يتضح من العرض السابق أن الفقر والظلم الاجتماعى والقهر والإذلال دوافع ومسببات لجرائم المرأة الفقيرة، لكن على صعيد آخر نجد أنه فى السياق الدرامى لمسلسل سجن النسا ظهرت فئة أخرى غير المرأة الفقيرة وهى نساء الطبقة العليا، حيث ظهرن فى جرائم محددة منها تجارة المخدرات وجرائم المال العام.

ومن الجدير بالذكر أنه فى فترة ما قبل ثورة يناير ٢٠١١ بدأ الفساد المؤسسى ظاهرًا وهذا النوع من الفساد لا بد أن تكون له جذور فى البنية الاجتماعية للمجتمع، وآليات تساعد على وجوده وتعيد إنتاجه، وظهر فى السياق الدرامى لمسلسل سجن النسا كيف أن الجرائم الخاصة بالمرأة تختلف فى أسبابها بين المرأة الفقيرة والمرأة الأغنى من حيث الكيف؛ كذلك تختلف فى شكلها ومضمونها فمن زينات التى تبيع جسدها من أجل الطعام والعلاج إلى درية التى استباحت المال العام تقع فروق واسعة توضح الفروق الطبقية والاستقطاب الطبقى الصارخ فى المجتمع المصرى قبل ثورة يناير، وتوضح

كيف أن الفساد المؤسسى ساعد على انتشار جرائم المال العام بين نوعية معينة من سيدات الأعمال.

ثانياً: ارتباط السياق الاقتصادى الاجتماعى للمرأة مرتكبة الجريمة والإطار المكانى بنوعية الجرائم التى ترتكبها

أوضح السياق الدرامى بشكل كبير أن هناك جرائم ترتكبها المرأة الفقيرة (الدعارة والقتل على سبيل المثال) وأخرى ترتكبها المرأة الغنية (جرائم الفساد)، أى إن السياق الاقتصادى الاجتماعى يرتبط بنوعية الجرائم المرتكبة، على العكس تماماً ليس هناك أثر للبعد المكانى على نوعية ارتكاب المرأة لجرائم معينة.

ثالثاً: كيفية طرح الدراما التليفزيونية عينة الدراسة للواقع الاجتماعى المصرى

قبل عرض نتائج الدراسة الخاصة نكرر الإشارة إلى أن الإطار الزمنى للأحداث فى مسلسل سجن النسا كان فى الفترة التى سبقت ثورة يناير ٢٠١١؛ وعليه سوف توضح الدراسة شكل الطرح الدرامى للواقع الاجتماعى المصرى الذى كان موجودًا فى هذه الفترة أى الفترة التى دارت فيها الأحداث الدرامية.

صورت السيناريست مريم نعوم فى السياق الدرامى للمسلسل الواقع الاجتماعى فى المجتمع المصرى قبل ثورة يناير ٢٠١١ كما كان موجودًا بالفِعل، صورت الفقر بوصفه سبباً رئيساً للعديد من الجرائم التى تقوم بها المرأة وسببًا فى قهرها وإذلالها وحرمانها من أبسط حقوقها الآدمية مما يدفعها للجريمة.

لقد صورت لنا أحداث المسلسل الظلم الاجتماعى الذى تتعرض له المرأة الفقيرة، وكيف تسلب إرادتها وحريتها فى إشارة ضمنية إلى حتمية وضع المرأة

الفقيرة فى الحسبان فى رسم السياسات التنموية، وفى كل ما يتعلق بالتمكين، لأن عدم تمكين المرأة الفقيرة ظلم اجتماعى لها.

ركزت السيناريست مريم نعوم فى السياق الدرامى لمسلسل سجن النسا على المرأة الفقيرة مراراً وفى أكثر من موضع وكأنها تضع نصب عين المشاهد أن الفقر دافع أساسى لكثير من المشكلات الاجتماعية ؛ منها اتجاه المرأة نحو الجريمة واتفقت فى رؤيتها وطرحها مع نتائج العديد من الدراسات السابقة المعنية.

وضح السياق الدرامى فى إشارات ضمنية أن الفساد المؤسسى أحد أسباب جرائم المرأة من الطبقة العُليا لتؤكد السيناريست ضمنيًا على حتمية مطاردته وتجفيف منابعه حتى النهاية.

وفى الإطار ذاته تعرضت الأحداث فى مسلسل سجن النسا لشكل السياسات الاجتماعية الخاصة بالصحة وبالإسكان ونصيب المرأة الفقيرة منها فى إشارات لحتمية النهوض بهذه السياسات لتشمل كل شرائح المجتمع وخاصة الفقراء وبصفة أخص المرأة الفقيرة ؛ فقد أكد السياق الدرامى للمسلسل فى أكثر من موضع على صعوبة حصول المرأة الفقيرة على الرعاية الصحية بداية من وقوف زينات فى طوابير لغسل كليتها مروراً بتعرضها لعملية نصب وسرقة الكلية السليمة، كذلك الإشارات المهمة داخل السياق إلى الغرف الضيقة التى يعيش فيها شخوص العمل الدرامى من النساء فى الحضر (زينات) وفى الريف (رضا) .

وأخيراً أكد السياق الدرامى على ضرورة إلقاء نظرة على التشريعات الخاصة بالمرأة، حيث إن القضاء على جرائم المرأة لابد أن يكون بالقضاء على أسبابها المؤسسية الاجتماعية، لذلك يحث السياق الدرامى المشاهد على التفكر فى اتجاه المرأة نحو الجريمة على أنه ليس عوارًا فى شخصيتها أو سماتها

النفسية، إنما هو مشكلة اجتماعية حلها يتطلب جهدًا اجتماعيًا وإصلاحًا مؤسسيًا وليس فرديًا.

خاتمـــة

تناولت الدراسة الحالية الكيفية التى عالجت بها الدراما التليفزيونية المصرية ذات الطابع الاجتماعى–ممثلة فى مسلسل سجن النسا– جرائم المرأة، وعرضت الدراسة إلى المسببات الاجتماعية للجريمة بصفة عامة، وجرائم النوع بصفة خاصة فى التراث النظرى لعلم الاجتماع، وتبنت الدراسة فكرة أن الدراما التليفزيونية تطرح المشكلات والقضايا الاجتماعية وفقًا لتوجه الكاتب الإيديولوجى؛ فإما أن يكون الطرح اجتماعيًا يوضح دور الأبنية الاجتماعية فى إفراز نوع معين من الجرائم أو المشكلات؛ وإما يبتعد الطرح بالمشاهد عن الواقع الاجتماعى ومسببات الجريمة المتجذرة فيه، إلى اختزال مسببات الجريمة فى سمات وخصائص فردية وشخصية.

كشف تحليل المضمون للمسلسل المختار – سجن النسا – عن أنه من النوع الأول من الدراما؛ حيث يقدم طرحًا اجتماعيًا جيدًا يرتبط بالواقع فى المجتمع المصرى، ويكشف عن شكله وماهيته ودوره فى إفراز جرائم المرأة فى الفترة ما قبل ثورة يناير ٢٠١١، كشفت الدراسة عن أن أسباب جرائم المرأة الرئيسة كما عرضها السياق الدرامى للمسلسل تتمثل فى: الفقر والظلم الاجتماعى، والقهر والإذلال، والفساد، وأن المسببات تختلف باختلاف الطبقة التى تنتمى لها المرأة مرتكبة الجريمة؛ فجرائم المرأة الفقيرة تختلف فى الكيف عن جرائم المرأة الغنية، والبعد أو السياق المكانى ليس له أى دور بالمقارنة بالسياق الاقتصادى الاجتماعى سالف الذكر فى اتجاه المرأة نحو جرائم معينة دون غيرها .

المراجع

١- Marxism and crime at ,

http//www.historylearningsite.co.uk/sociology/crime-and-deviance/ Marxism-and-crime,8-6-2016.

٢- Ibid, p.1.

٣- نجيب بوالماين، الجريمة والمسألة السيسيولوجية: دراسة بأبعادها السيسيوثقافية والقانونية، درجة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع والديموجرافيا، ٢٠٠٧/٢٠٠٨، ص ٧٤.

٤ – المرجع السابق، ص ٧٥.

٥ – المرجع السابق، ص٧٧.

٦ – Simpson.s,sally, Feminist theory and justice,criminology,v.27,n.4,1989,many places.

٧- Ibid,pp.6:9.

٨ – http//www.mahamah.net,16-6-2016<many places .

٩ – Simpson.s,sally, feminist theory and justice,pp.6:9

١٠- تقرير الأمن العام لعام ٢٠١٢، وزارة الداخلية، قطاع مصلحة الأمن العام، ٢٠١٢، ص ٧٤٥.

١١- على سبيل المثال لا الحصر:

- الرصد والتقييم الذى تقوم به لجنة الدراما التابعة للمجلس القومى للمرأة لصورة المرأة فى الدراما التليفزيونية الرمضانية بصفة خاصة – حيث كثافة العرض.

على سبيل المثال:

- صورة المرأة فى دراما رمضان ٢٠١٤ فى:

w w w. ncwegypt. Com/index. Php/Ar/ Media- Centre/ ncw – new/146- 2013-2-25-07-46-26-2-2015.

- الرصد والتقييم الذى يقوم به المركز المصرى لحقوق الإنسان انظر:

سحر صلاح ، صورة المرأة فى دراما رمضان إشراف : نهاد أبو القمصان، المركز القومى لحقوق الإنسان، القاهرة، ٢٠١٣.

ومعظم الرصد لصورة المرأة يكون فى الدراما الرمضانية دون غيرها.

١٢- مثال لهذه الدراسات:

- Dawn.k.Cecil, Dramatic portrayals of violent women: female offenders on prime time crime Dramas, jcjpc, university of South Florida, Petersburg, 2007.
- Rizum. Sarah,Fictionalized Women in Trouble: An exploration of television Crime Drama CsI Miami, W.D.

١٣- حسن،عطية، مريم نعوم من كلام نسوان إلى سجن النسا ١٧-١١-٢٠١٤ فى:
w w w. deral hILal. Com. Eg/Show – 2068. html,26-2-2015.

١٤- أحمد، الصاوى، جمال العدل: سجن النسا كتب ٥ مرات فى ٥ سنوات ١ -٢-٢٠١٥ فى:
w w w . el. BAled. Com/ 136 7087,26-2-2015.

١٥- نادية حليم، الخصائص الاقتصادية للسكان، المسح الاجتماعى الشامل للمجتمع المصرى؛ المرحلة الثالثة (٢٠١٠-٢٠١٥)، مجلد السكان، إشراف وتحرير؛ نادية حليم، القاهرة، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ٢٠١٦، ص ص ١٠٠:١٠١.

١٦- عبد الباسط،عبد المعطى، المرأة العربية الفقيرة: محاولة فى التنميط، فى المؤتمر العربى حول المرأة والفقر، الأطر المفاهيمية والمقاربات البحثية: آليات الإفقار وأساليب المواجهة، المجلد الثالث، جامعة الدول العربية، ٢٠٠١، أماكن متفرقة .

١٧- المرجع السابق، ص ١١.

١٨- المرجع السابق، ص ١٧.

Abstract

EGYPTIAN TV DRAMA APPROACH TO WOMEN CRIMES: WOME'N PRISON (SEGN ALNESA) AS A MODEL"

Samah Abdallah

The Current study discusses how the Egyptian TV social drama - "Segen Alnesa " as an example - represented Women Crimes. The study adopted the idea that television drama poses problems and social issues according to the writer's ideology, either by clarifying- the role of social structures in producing a certain type of crime or problem, or attributing the causes to individual and personal reasons. The results showed that the series "Segen Alnesa" presented a good social approach related to the reality of the Egyptian society before January Revolution. It also displayed the reasons leading to women crimes, as well as different crimes caused by the different socio-economic circumstances of these women .